

أزمة إنتماء وراء هجرة العائلات اللبنانية يتوارثها الأبناء بعدم الإستثمار في بلدهم

هجرة العائلات هي اسوأ ما يواجهه لبنان في ازمته الحالية، بترحيل المستقبل عن وطن يعيش ابناؤه أزمة انتماء سيتوارثها الجيل الثاني والثالث من المهاجرين بابتعادهم عن الاستثمار في بلدهم. مساوئ هذا القرار الذي يتخذه اللبنانيون بتسرع هربا من واقعهم، هي في ذيلولة الاجتماعية والعائلية التي قد تجعلنا نشهد على حياة جيل يشيخ لوحده

هجرة العائلات اللبنانية التي تصاعدت وتيرتها منذ عام تقريبا، ستحدث تغييرا جذريا في تركيبة مجتمع معروف بتنوعه وبالترابط العائلي بين افراده حيث يتوقع حدوث خلل على هذا الصعيد، ديموغرافيا واسريا، كنتيجة لقرار يتخذ تحت وطأة اليأس والخوف من المستقبل.

اللافت في موجة الهجرة الثالثة في تاريخ لبنان شموليتها كل الطبقات الاجتماعية. فالغني والفقير، المتعلم وغير المتعلم، يريدون الرحيل عن لبنان من دون استكشاف دقيق للواقع الذي قد يواجهونها في مجتمعات اخرى غير ملائمة لهم اجتماعيا وثقافيا.

في لقاء مع "الامن العام" تحدثت الاستاذة المساعدة والباحثة، منسقة مختبر البيئمناهجية في مركز الابحاث في معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية - الفرع الثاني رئيسة قسم المنهجية والابستمولوجيا والتقنيات الدكتور سوزان منعم عن هجرة العائلات اللبنانية، اسبابها وتأثيرها وعواقبها.

لم تقتصر الهجرة التي بدأ يشهدها لبنان منذ عامين تقريبا كخطر ملف مطروح حاليا على الطلاب الجامعيين واصحاب المهن والاختصاصات بحثا عن فرص عمل في الخارج، بل وصل الامر الى ما هو اكثر خطورة تمثل في هجرة الاسر اللبنانية، ما بعد هذا الواقع اي تغيير سيطراً على المجتمع اللبناني؟

التغيير سيكون جذريا بسبب الخلل الاجتماعي الذي ستحدثه هجرة العائلات عن لبنان، ديموغرافيا في الدرجة الاولى، وثانيا على صعيد القيم التي نشأ عليها اللبنانيون في عاداتهم وتقاليدهم. انعكاس هجرة الاسر على المجتمعات مختلف كليا عن هجرة الافراد، فهي ليست هجرة الاب والام فقط بل الابناء ايضا، اي المستقبل بكل ما يختصونه على الصعيدين العلمي والمهني بسعي الى التفوق في الدول التي لجأوا اليها هربا من واقع عانوا منه في وطنهم. جيل الشباب هو جيل الخصوبة، بالزواج والانجاب، ليستفيد منها بلد الاستقبال لا البلد الام. علما ان رحيل الابناء عن وطنهم في عمر مبكر يفقدهم الشعور بالارتباط بالارض كميزة اساسية يتحلى بها اللبنانيون. مع الوقت سيفقد الجيل الثاني من المهاجرين روح الانتماء الى وطن يحملون اسمه فقط. هجرة العائلات، عادة، هي هجرة نهائية بكل ما تحمل هذه الخطوة من ضرورة التخلي عما يربط افرادها بمجتمع لم يؤمن لاولادها حق التعليم الذي اصبح اخيرا من الامور المتعثرة وغير المتوافرة في لبنان.

اي خطورة تمثلها هجرة هذه العائلات عن لبنان حاليا؟

الخطر هو على المستقبل في ذاته وعلى الانتاجية في البلد التي ستستثمر في بلد اخر على يد ابناء المهاجرين من الجيل الثاني والثالث. اما على الصعيد الاجتماعي فسيفقد لبنان ميزة التنوع في بنيته الاجتماعية المعروف بها. مع هجرة العائلات اللبنانية سنشهد تفككا اسريا لم نعرفه من قبل. نعلم ان الجيل الاول من المهاجرين سيحافظ على الرابطة العائلي، مع الاب والام والاقارب والاصدقاء في المناسبات الخاصة والاعياد كما يحصل عادة، لكن مع الجيل الثاني سيكون الامر مختلفا كليا رغم العاطفة التي تجمع الاحفاد بالجد والجددة. اما في حال قرر الجيل الثاني العودة الى وطنه، فستكون خطوته هذه بعد 20 عاما لا قبل، كرحلة سياحية لا اكثر.

ما الدور الذي سيلعبه المجتمع اللبناني في غياب العناصر الشابة عنه ومن اي فراغ سيعاني؟

سيكون لبنان اشبه بالدول الاسكندنافية حيث لا وجود للاجيال الشابة، فهي مجتمعات للمتقدمين في العمر فقط. في غياب جيل الشباب لا وجود للتطور ولا امكان لحدوثه في المجتمع اللبناني، اقتصاديا وسياسيا



الاستاذة المساعدة رئيسة قسم المنهجية والابستمولوجيا والتقنيات في معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية - الفرع الثاني الدكتورة سوزان منعم.

شهدها لبنان في سنوات الحرب ما بين سبعينات وتسعينات القرن الماضي، كان المقعدرون ماليا هم عصبها. اما الان فالوضع مختلف من ناحية سعي الفقير والغني، المتعلم وغير المتعلم حتى اصحاب المهن الحرة. الكل يريد مغادرة لبنان باتباع اساليب تحقق له هذه الغرضية، منها عقد صفقات زواج لفتيات لبنانيات من طريق اقارب لهم في الخارج، وقد عاينت هذه الحادثة شخصا في اثناء وجودي في فرنسا في 28 اب الماضي حيث سعت سيدة لبنانية الى تقديم عرض زواج لاحدى قريباتها تعمل في اهم مصرف في لبنان بهدف تعريفها الى شاب اجنبي بغية الزواج منه. انها احدى الوسائل المعتمدة حاليا للرحيل عن لبنان من دون التوقف عند سلبات هذا القرار وانعكاسه على حياة الفرد نفسيا واجتماعيا. وكما اقول دائما من خلال دراستي لملف الهجرة، العيش خارج لبنان ليس الذهاب الى الشانزليزيه. هناك صعوبات كثيرة سيصطدم بها اللبناني باحتكاكه بثقافات اخرى.

من خلال عمك على ملف الهجرة اللبنانية، من اي مشكلات سيعاني اللبناني ما بعد رحيله؟

عدم التأقلم هو من ابرز المشكلات التي سيصطدم بها اللبنانيون. من خلال علاقتي المهنية بالمهاجرين حديثا عبر لي احدهم عن ندمه الشديد على قرار الهجرة الذي اتخذه بلهفة شديدة. بصراحة، هناك تسرع لدى الناس حاليا في اتخاذهم قرارا صعبا كهذا. في السابق كان الزوج يحرص على السفر بمفرده في بادىء الامر لتحضير واقع ملائم لعائلته، بمعنى كان لدى اللبناني خطة مدروسة لحياته الجديدة لا كما يحصل حاليا.

اجتماعيا. وفي غياب التطور لا وجود للانتاجية والمنافسة بين افراده، فالانتاج يخلق فرص عمل ومزواتها تولد المنافسة كعامل ضروري لاجداث التغيير في صلب المجتمع على سائر الصعد. المجتمع اللبناني سيكون مجتمع العازبين والمتقدمين في العمر، وسنشهد على حياة جيل يشيخ لوحده في هذا البلد. من الضروري القول هنا ان الظروف الضاغطة على الاسر اللبنانية التي لم تترك امامها سوى خيار الهجرة، لن تشجع الابناء - الجيل الثاني والثالث - على الاستثمار في لبنان، يعود السبب الى بروز ازمة جديدة لم نشهدها في سنوات الحرب رغم كل مآسيها، هي ازمة الانتماء الى هذا البلد التي بدورها طرحت مسألة الهوية كازمة ايضا. فقدان الامان الاجتماعي هو وراء موجة الهجرة الثالثة في تاريخ لبنان.

اي نماذج اجتماعية مهيأة داخليا اكثر من غيرها لاتخاذ قرار الهجرة في الازمات الصعبة؟

ابناء المدينة هم الذين يتخذون هذا القرار بسهولة امام كل منعطف صعب يواجهه لبنان، لا اولاد الريف. المسألة هذه مرتبطة بالشعور بالانتماء المتأصل في نفوس ابناء القرى. لهذا السبب لا تنطبق معادلة هجرة الاسر اللبنانية في الفترة الاخيرة على اهل الريف. موجة الهجرة التي

هجرة العائلات ستحدث خلا اجتماعيا في التركيبة اللبنانية